

(١٧)

الإيمان بالعرش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛
 ((وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدٍ صَحِيحَةٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: "هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا (ضَحَكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ الْجَبَّارُ قَدَمَهُ فِيهَا) وَالْكَرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ فِي الرُّؤْيَةِ هِيَ عِنْدَنَا حَقٌّ حَمَلَهَا الثَّقَاتُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، غَيْرَ أَنَّا إِذَا سُئِلْنَا عَنْ تَفْسِيرِهَا لَا نَفْسَرُهَا، وَمَا أَدْرَكْنَا أَحَدًا يُفْسَرُهَا" اهـ.

أَبُو عُبَيْدٍ أَحَدُ الْأَيْمَةِ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ هُمْ: "الشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَأَبُو عُبَيْدٍ، وَلَهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالتَّأْوِيلِ مَا هُوَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ، وَقَدْ كَانَ فِي الزَّمَانِ الَّذِي ظَهَرَتْ فِيهِ الْفِتْنُ وَالْأَهْوَاءُ وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَا أَدْرَكَ أَحَدًا مِنَ الْعُلَمَاءِ يُفْسَرُهَا-أَيُّ تَفْسِيرِ الْجَهْمِيَّةِ-)).

أبو عبيد إمام كبير رحمه الله في جميع العلوم رحمه الله رحمة واسعة، وهو أحد الأربعة. وحين يقال الأربعة يعني في طبقة واحدة. دائماً يقال أربعة في زمانهم ونحو ذلك. فقد كان في طبقة هؤلاء الأعلام وتوفي ٢٢٤هـ. أبو عبيد القاسم بن سلام. وله تحقيق في المسائل اللغوية والشرعية ومسائل الأصول، فهو إمام مبرز. فقد قال هذه الكلمات وقال أنه يجب الإيمان بهذه الأحاديث. واختار أحاديث من التي يسميها أولئك "الأحاديث المشككة" أو "النصوص المشتبهة" التي فيها ذكر الضحك والقدم والرؤية وغير ذلك يقول ((هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض، غير أننا إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها)) التفسير الذي ياباه السلف هو تفسير الجهمية والمعتزلة ومن سار على طريقتهم، وهو الذي نسميه التحريف ويسمونه هم تأويلاً. فلا تغتر بكلام بعض المفضولة حينما يأتون بمثل هذه النصوص ويقولون "أرايتم ها هم السلف لا يثبتون إثباتاً تفصيلياً ولا يفسرون إنما يكتفون بإيمان جمل وكفى"، ويستدلون بمثل هذه النصوص، يعني يتخذون من عبارة عدم التفسير أنها تفويض، وليس الأمر كذلك، فإنما برئ السلف من التحريف بقولهم لا نفسرها أو تفسيرها قراءتها أرادوا بذلك التبري من التحريف والإقرار والإمرار.

((وَرَوَى اللَّالِكَايِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي أَكْرَهُ الصِّفَةَ- يَعْنِي صِفَةَ الرَّبِّ- فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: "أَنَا أَشَدُّ النَّاسِ كِرَاهَةً لِذَلِكَ وَلَكِنْ إِذَا نَطَقَ الْكِتَابُ بِشَيْءٍ قُلْنَا بِهِ، وَإِذَا جَاءَتْ الْآثَارُ بِشَيْءٍ جَسَرْنَا عَلَيْهِ" وَنَحْوُ هَذَا. أَرَادَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: أَنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَبْتَدِئَ بِوَصْفِ اللَّهِ مِنْ ذَاتِ أَنْفُسِنَا حَتَّى يَجِيءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالْآثَارُ.))

ابن المبارك حسبك به، أمير المؤمنين في الحديث، له قدم صدق في جميع أبواب الدين والدنيا رحمه الله وتُعطر المجالس بذكره. فابن المبارك يقول له رجل ((يا أبا عبد الرحمن إنني أكره الصفة- يعني صفة الرب)) يعني الكلام في أحاديث الصفات. فقال له بحنكة وروية ((أنا أشد الناس كراهة لذلك)) وأراد بالإشارة بقول ذلك يعني أن أبتدئ أو أقول على الله بغير علم، معاذ الله أن أتكلم بلا علم وأن أصف الله بما لم يصف به نفسه. وهذا هو مراده ((أنا أشد الناس كراهة لذلك)) ولكن إذا جاء الكتاب

بشيء قلنا به، لأننا نكون حينئذ على بينة و يقين أن هذه صفة الرب، وإذا جاءت الآثار أي السنة بشيء جسرنا عليه أو نحو هذا.

((وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ وَعَازِرُهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: بِمَاذَا نَعْرِفُ رَبَّنَا قَالَ: "بِأَنَّهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ هَهُنَا فِي الْأَرْضِ، وَهَكَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَعَازِرُهُ. وَرَوَى بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ - الْإِمَامِ - سَمِعْتُ حَمَادَ بْنَ زَيْدٍ وَذَكَرَ هُوَ لَاءِ الْجَهْمِيَّةِ فَقَالَ: "إِنَّمَا يُحَاوِلُونَ أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ".

صدق رحمه الله هذا مؤدى قولهم، لأنهم إذا أنكروا علو الله تعالى وأنكروا أسمائه وصفاته فإن مؤدى ذلك القول بالعدم، كأنما يفضي ذلك إلى إنكار وجود الرب بالكلية. هذا مؤدى مذهب السلب والنفي الذي يسلكه الجهمية ومن سار على طريقتهم، ولهذا قَالَ حماد بن زيد ((إِنَّمَا يُحَاوِلُونَ أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ)) وبالتالي ينفون وجود الله. والواقع أن المتأمل في مذهب الجهمية يدرك أن الإيمان عندهم هو إيمان بفكرة ذهنية لأن الله عندهم هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وهذا الأمر لا يمكن إلا أن يوجد في الأذهان ولا يمكن أن يوجد في الخارج فمعنى ذلك أنه لا وجود لله ﷻ في قولهم، تعالى الله عما يقولون.

((وروى ابن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية» عن سعيد بن عامر الضبي . إمام أهل البصرة علماً ودينياً، من شیوخ أحمد . أنه ذكر عنده الجهمية، فقال: «هم شرُّ قولاً من اليهود والنصارى، وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش. وقالوا هم: ليس عليه شيء»)).

هذا وجه تفضيل اليهود والنصارى على الجهمية، لأن الجهمية مقاتلتهم تفضي إلى الإلحاد المطلق وإنكار وجود الله، بينما اليهود والنصارى نالوا من الله ﷻ بقولهم أنه حل في جسد المسيح وقالوا بالحلول وغير ذلك واليهود وصفوه بالنقص وقالوا يد الله مغلولة وأنه تعب وأنه فقير، ومع ذلك فشناعات مقالاتهم هذه لا تنحط لمقالة الجهمية الذين نفوا عن الله ﷻ جميع الأسماء والصفات.

((وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُرَيْمَةَ - إِمَامُ الْأَثِمَةِ - : "مَنْ لَمْ يَقُلْ : إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وَجَبَ أَنْ يُسْتَتَابَ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ، لِيَأْتِيَ بِنْتِنِ رِيحِهِ أَهْلُ الْقِبْلَةِ، وَلَا أَهْلُ الذِّمَّةِ" وَذَكَرَهُ عَنْهُ الْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.)) مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُرَيْمَةَ إِمَامٌ مَشْهُورٌ يَلْقَبُ بِإِمَامِ الْأَثِمَةِ وَلَهُ كِتَابٌ "التَّوْحِيدُ وَإِثْبَاتُ صِفَاتِ الرَّبِّ" قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَهَذَا الْحُكْمَ. قَوْلٌ وَحَكْمٌ فِي أَنْ. ((مَنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَجَبَ أَنْ يُسْتَتَابَ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ)) حَدًّا أَوْ رَدَّةً؟ رَدَّةٌ وَهَذَا قَالَ ((أَلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ)) لَا يَغْسَلُ وَلَا يَكْفَنُ وَلَا يَصَلِّي عَلَيْهِ، بَلْ يَلْقَى عَلَى مَزْبَلَةٍ لِثَلَا يَتَأَذَى بِنْتِنِ رِيحِهِ أَهْلُ الْقِبْلَةِ وَالذِّمَّةِ، يَعْنِي يَلْقَى فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَلَى مَزْبَلَةٍ حَتَّى لَا يَتَأَذَى بِنْتِنِ رِيحِهِ أَهْلُ الْقِبْلَةِ وَالذِّمَّةِ. بِئْسَ الْمَيْتَةُ.

((وَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ الْعَوَّامِ الْوَاسِطِيِّ - إِمَامِ أَهْلِ الْوَاسِطِ ، مِنْ طَبَقَةِ شَيْخِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ - قَالَ: "كَلَّمْتُ بِشَرِّ الْمَرْيَسِيِّ، وَأَصْحَابَ بِشَرِّ فَرَأَيْتُ آخِرَ كَلَامِهِمْ يَنْتَهِي أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ".))
قصده بـ "كلمت": ناظرت و حوارت.

((وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ - الْإِمَامِ الْمَشْهُورِ - أَنَّهُ قَالَ: "لَيْسَ فِي أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ شَرٌّ مِنْ أَصْحَابِ جَهَنَّمَ، يَدُورُونَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ أَرَى وَاللَّهِ أَنْ لَا يُنَاكِحُوا وَلَا يُورَثُوا."))

وهذا تكفير لهم لأن الذي لا يُنَاكِح ولا يُورَث هم الكفار.

((وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي كِتَابِ الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: "أَصْحَابُ جَهَنَّمَ يُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ، أَرَى أَنْ يُسْتَأْبُوا فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا فُتِلُوا."))

وقد قالها إمامهم الجعد بن درهم أن الله تعالى ما كلم موسى تكليماً ولا اتخذ إبراهيم خليلاً، ولأجل هذا قتله خالد بن عبد الله القسري. فهذا ما يريد هؤلاء غير أنهم يتحذلقون ويأتون بهذه التأويلات الباردة ليستدفعوا عن أنفسهم القتل وغير ذلك.

((وَعَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: "قَدِمَتْ امْرَأَةٌ جَهَنَّمَ فَزَلَّتْ الدَّبَاغِينَ فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَهَا: اللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ، فَقَالَتْ: مَحْدُودٌ عَلَى مَحْدُودٍ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: كَافِرَةٌ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ.")) بعس الزوجة وبئس الزوج، هذه امرأة الجهم بن صفوان نزلت بموقع يقال له الدباغين فقال رجل عندها الله على عرشه فهذا منطوق في القرآن {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ} [طه: ٥] فقالت تريد أن تبطل هذا محدود على محدود، يعني العرش لا شك أنه محدود لأنه مخلوق فقالت أنه من لازم لإثباتك لاستواء الله على عرشه أن يكون تعالى محدوداً وأن تحيط به الحدود وهذا إلزام بغير لازم لكن هي بسبب ضلالها تبادر لها هذا المعنى الباطل ولا يلزم من كون الله ﷻ على عرشه أن يكون محاط به كما ادعت هذه الضالة.

((وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ - شَيْخِ أَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ وَطَبَقْتَهُمَا - قَالَ: "نَاطَرْتُ جَهَنَّمَ، فَتَبَيَّنَ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَنْ فِي السَّمَاءِ رَبٌّ". وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، ثنا سُرَيْجُ بْنُ التُّعْمَانِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ نَافِعِ الصَّائِعِ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: "اللَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ". وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: "خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ ﷺ حَقٌّ قَضَاهَا اللَّهُ فِي سَمَائِهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِ قُلُوبَ عِبَادِهِ."))

والشافعي رحمه الله أراد أن يتكلم عن خلافة أبي بكر، فأجرى الله على لسانه ما هو معلوم من الدين بالضرورة ومحل إجماع الفطر والعقول، فقال معظماً خلافة أبي بكر ((حَقٌّ قَضَاهَا اللَّهُ فِي سَمَائِهِ)) وهذا دليل على إثبات الشافعي للعلو.

((وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَتْ زَيْنَبُ تَفْتَحِرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: "رَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَرَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ"، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ الشَّافِعِيِّ.))

رضي الله عنها قد أنكحها نبيه {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْنَدٌ مِنْهَا وَطَرًا رَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} (الأحزاب: ٣٧) حَقٌّ لها أن تفتخر رضي الله عنها قالت ((رَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَرَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ)) فهذا دليل على إثباتها لعلو الله تعالى.

((وَقِصَّةُ أَبِي يُوسُفَ -)) "يوسف" لها ستة أوجه مهما قرأها: يوسف ويوسف ويوسف وبالهمس يوسف فاسم يوسف لا حرج في قراءته بأي من هذه الأوجه.

((وَقِصَّةُ أَبِي يُوسُفَ -صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ- مَشْهُورَةٌ فِي إِسْتِثَابَةِ بَشْرِ الْمَرْبِيسِيِّ حَتَّى هَرَبَ مِنْهُ لَمَّا أَنْكَرَ الصِّفَاتِ وَأَظْهَرَ قَوْلَ جَهْمٍ، قَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَعَيْرُهُ)) أبو يوسف صاحب أبي حنيفة وقد تولى القضاء زمن هارون الرشيد فكان له قصة مع بشر المريسي فاستتابه حتى هرب من بين يديه.

((وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِينَ . الإمام المشهور من أئمة المالكية . في كتابه الذي صنفه في «أصول السنة» قال فيه: باب الإيمان بالعرش.

قال: ومن قول أهل السنة: إن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} {طه: ٥} وقوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ} (الحديد: ٤)؛ فسبحان من بَعُدَ وَقَرَّبَ بعلمه، فسمع النجوى. وذكر حديث أبي رزِين العُقَيْلِيِّ؛ قلت يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: «في عماء، ما تحته هواء وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء». قال محمد: العماء: السحاب الكثيف المطبق فيما ذكره الخليل. وذكر آثاراً أُخْر. ثم قال: باب الإيمان بالكرسي.

قال محمد بن عبد الله: ومن قول أهل السنة: أن الكرسي بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين. ثم ذكر حديث أنس الذي فيه التجلي يوم الجمعة في الآخرة، وفيه «فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسية، ثم يحف بالكرسي منابر من ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء النبيون فيجلسون عليها». وذكر ما ذكره يحيى بن سلام صاحب التفسير المشهور: حدثني المعلى بن هلال، عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس . رضي الله عنهما . قال: «إن الكرسي الذي وسع السماوات والأرض لموضع القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه».

وذكر حديث أسد بن موسى حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه».

بسم الله الرحمن الرحيم. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. وبعد؛ فإن شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ يَنْقُلُ ثَقُولاً عَنْ السَّلَفِ مِنْ مُخْتَلَفِ الْمَذَاهِبِ. فَبَعْدَ أَنْ نَقَلَ عَنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ نَقَلَ عَنْ ابْنِ أَبِي زَمَنِينَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْمَالِكِيَّةِ مِنْ كِتَابِهِ فِي أَصُولِ السَّنَةِ بَابًا يَتَعَلَّقُ بِالْإِيمَانِ بِالْعَرْشِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْعَرْشِ مَرْتَبُطٌ بِالْإِيمَانِ بِعَلْوِ اللَّهِ ﷻ، إِذْ أَنَّهُ ﷻ قَدْ اسْتَوَى عَلَيْهِ. وَالْعَرْشُ هُوَ فِي اللُّغَةِ سُرِيرُ الْمَلِكِ أَوْ سُرِيرُ الْمَلِكِ كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَهَلَا عَرْشٌ عَظِيمٌ } (النمل: ٢٣) يعني ملكة سبأ عرش عظيم. وأما في الاصطلاح فهو أعظم المخلوقات وأعلىها وأجلها وأكبرها، وهو سقف العالم، فكل شيء تحته، وفوقه رب السماوات والأرضين سبحانه وبحمده قَدْ اسْتَوَى عَلَيْهِ اسْتِوَاءً يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ. فَهَذَا الْعَرْشُ خَلَقَ عَظِيمٌ وَلَهُ قَوَائِمٌ وَتَحْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ. هَذَا الْقَدْرُ قَدْ ذَكَرْتُ عَلَيْهِ النُّصُوصَ، فَنُؤْمِنُ بِمَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِشَأْنِهِ، فَقَدْ اسْتَوَى عَلَيْهِ رَبُّنَا كَيْفَ شَاءَ، فَلِهَذَا قَالَ ((فَسَبْحَانَ مَنْ بَعُدَ وَقَرَّبَ بعلمه)). فَعَلُوهُ سَبْحَانَهُ الَّذِي لَا نَهَايَةَ لَهُ لَا يَمْنَعُ مِنْ عِلْمِهِ بِمَخْلُوقَاتِهِ، فَهُوَ يَسْمَعُ النُّجُوى. وَاسْتَدَلَّ بِجُمْلَةٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ؛ مِنْهَا حَدِيثُ أَبِي رَزِينِ الْعُقَيْلِيِّ، وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ

ضعفه بعض أهل العلم، حديث ((قلت يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: «في عماء، ما تحته هواء وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء»)). المحقق عندي قَالَ ضعيف، ماذا قَالَ في نسختكم؟ ضعفه؟ نعم.

ثُمَّ عقد بابًا في الإيمان بالكروسي. والكروسي عِنْدَ السَّلَفِ هو موضع القدمين، فهو بين يدي العرش، فلا يَصِحُّ تَفْسِيرُ العرش بالكروسي. عَلَى أن الكروسي ربما جاء في بعض النصوص يراد به العرش. فذكر أيضًا حديث الجمعة، وهو أيضًا ضعيف، ضعفه عندي، وعندكم؟ كذلك؟ أينعم، وفيه ذكر الكروسي. ثُمَّ ذكر حديث ابن مسعود رضي الله عنه وهو حديث مشهور والشاهد مِنْهُ قوله في آخره ((والعرش فوق الماء والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه)) وهذا الحديث حسنه بعض أهل العلم وجود إسناده أو صححه ابن القيم، ماذا قَالَ المحقق عندكم؟ عَنَ حديث ابن مسعود؟ تحريجه فقط؟ ما نقل حكمًا؟ لا قَالَ عندي : قَالَ ابن القيم في اجتمع الجيوش الإسلامية إسناده جيّد، وأشار إليه الحافظ في الفتح وعزاه للسنة لابن أبي عاصم عندي يقول رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. وهذا أيضًا من حديث كتاب التوحيد، ففيه ذكر أن العرش فوق الماء والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه. إذن هذا ما ذكره ابن أبي زمنين من إثبات علو الله ﷻ عَلَى عرشه وأن علوه علو ذاتي سبحانه وبحمده.

ثُمَّ ذكر الحجب فقال ((ثم قال: باب الإيمان بالحُجُبِ)).

قال: ومن قول أهل السنة أن الله بائن من خلقه يحتجب عنهم بالحجب، فتعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} (الكهف: ٥) وذكر آثارًا في الحجب.))

جمع من السلف إذا ذكروا هذه المسائل يبدؤون بذكر العلو ثُمَّ الاستواء ثُمَّ العرش ثُمَّ الحجب. والمراد بالحجب ما احتجب الله ﷻ به عَنَ خلقه كما في الحديث الصحيح (حجابه النور . وفي رواية أبي بكر النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) وقد صنع ذلك الدارمي في الرد عَلَى الجهمية فعقد باب الإيمان بالحجب أو نحو هذا العنوان، فهو يدل عَلَى علو الله ﷻ وأنه قَدْ احتجب عَنَ خلقه. ومن أشهر ذلك حديث مسلم رحمه الله من حديث أبي موسى رضي الله عنه قَالَ قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات: إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور . وفي رواية أبي بكر النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. اهـ. ولما سأل أبو ذر رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قَالَ "رأيت نورًا" وفي حديث "نُورٌ أُنِيَ أَرَاهُ" وذكرنا الحديث الآخر قَالَ "حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" فيجب الإيمان بذلك.

ثُمَّ قَالَ ((ثم قال: في باب الإيمان بالنزول.

قال: ومن قول أهل السنة إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حدًا. وذكر الحديث من طريق مالك وغيره إلى أن قال: وأخبرنا وهب عن ابن وضاح عن زهير بن عباد قال: «من أدركت من المشائخ . مالك وسفيان الثوري وفُضَيْل بن عياض وعيسى وابن المبارك ووَكَيْع . كانوا يقولون: النزول حق».

قال ابن وَضَّاح: سألت يوسف بن عَدِيَّ عن النزول، قال: «نعم أو من به ولا أَحَدٌ فِيهِ حَدًا». وسألت عنه ابن معين فقال: «أَقْرَبُ به ولا أَحَدٌ فِيهِ حَدًا».

قال محمد: وهذا الحديث يُبين أن الله عز وجل على عرشه في السماء دون الأرض، وهو أيضاً بيّن في كتاب الله وفي ما غير حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} (السجدة: ٥)، وقال تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ • أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} (الملك: ١٦-١٧)، وقال تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} (فاطر: ١٠)، وقال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} (الأنعام: ١٨)، وقال تعالى: {يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كُنَّا نُبَدِّلُكَ آيَاتِنَا وَرَأْفَعُكَ إِلَيْنَا} (آل عمران: ٥٥)، وقال تعالى: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} (النساء: ١٥٨).

وذكر من طريق مالك قول النبي صلى الله عليه وسلم للجارية: «أين الله؟». قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «فاعتقها، فإنها مؤمنة».

قال: «والأحاديث مثل هذه كثيرة جداً، فسبحان من علّمه بما في السماء كعلّمه بما في الأرض لا إله إلا هو العلي العظيم»... مما أثبتته ابن زمنين رحمه الله صفة النزول لله تعالى إثباتاً حقيقياً كما أحبر النبي ﷺ عن ربه. وأحاديث النزول رواها بضعة عشر صحابياً، وساقها أبو عثمان الصابوني في "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" متتابعة، وبها يتبين أن هذا الحديث بلغ مبلغ التواتر. فمن مقالة أهل السنة إثبات نزول الرب سبحانه على الوجه اللائق به. وهذا معنى قول السلف "لا أُحَدِّثُ فِيهِ حَدًّا" يعني أثبت حقيقة النزول من غير أن أصف كيفية النزول، فإن الكيفية لا تدركها العقول. فيجب إثبات ما أثبت الرب لنفسه، ولا يجوز بحال أن يحرف النزول بأن يقال هو نزول أمره أو نزول رحمته أو ملائكته، كل هذه تحريفات لفظية بإدخال لفظ لم يرد النبي ﷺ مع أن الأصل في الكلام عدم الحذف. يعني دعواهم هذه مبنية على أن الكلام فيه محذوف، "ينزل ربنا" ينزل أمر ربنا أو ملك من ملائكة ربنا أو تنزل رحمة ربنا. فدعواهم مبنية على أن في الكلام حذف، والأصل في الكلام باتفاق أهل اللغة عدم الحذف، فلا يجوز إثبات محذوف بلا دليل. الأمر الثاني أن هذا الذي ينزل يقول من يدعوني من يسألني من يستغفري، وهذا لا يمكن تصوره إلا صادراً عن الله ﷻ. الأمر الثالث أن منتهى نزول هذا الأمر للسماء الدنيا، فأى مصلحة للعباد أن يكون منتهى نزول الرحمة السماء الدنيا إذا لم تبلغهم في الأرض. وأيضاً لو كان النازل أمره ﷻ لما اختص بهذا الجزء من الليل وهو الثلث الآخر فإن أمره ينزل في كل حين، كل يوم هو في شأن ﷻ. ولا يمكن أن يكون ملك من ملائكة الله إذ لا يقول ملك من يدعوني من يسألني من يستغفري. وهذا يدل أن تحريفات المعطلة تأبأها النصوص وترفضها. وهو يصدق القاعدة التي ذكرها ابن تيمية أن ما أحد يستدل بحديث صحيح على دعوى باطلة إلا وكان في النص ما يناقض دعواه. وكما رأيتم استدلال بجملة من الآيات القرآنية الدالة على إثبات علو الله يدركها كل عربي قح سوي السليقة تأمل {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} (السجدة: ٥) والعروج لا يكون إلا لأعلى. {أَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ • أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} (الملك: ١٦-١٧) لها توجيهان إما أن تكون "في" مراد بها الظرفية، وإما "في" بمعنى "على" وكلاهما سائغ لغة. فإن حروف الجر تتناوب في اللغة العربية فتأتي "في" بمعنى "على"، كقوله تعالى {فَأَمْسُوا فِي مَنَابِحِهَا} يعني على منابحها. {فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} يعني على الأرض. {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ} يعني على جدوع النخل. فعلى هذا نقول أن معنى قوله {أَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ} يعني: أأمنتم من على السماء، فتكون السماء حينئذ هي

السماء المبنية السبع الشداد. فإن قلنا بأن "في" ظرفية وأنها على وجهها بمعنى الظرفية، فحينئذ تُفسَّر السماء بأنها العلو، وهذا أيضاً سائغ في اللغة، فإن كل ما علاك سماء لك. {أَأَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ} يعني من في العلو. ويقال عنه ﷺ أنه في العلو باعتبار العلو جهة عدمية- لا جهة مخلوقة، لأنه لا يمكن أن يحيط به شيء من خلقه. واستدل أيضاً بقوله ﷺ {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} (فاطر: ١٠) والصعود لا يكون إلا لأعلى، {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} والرفع لا يكون إلا لأعلى. هكذا ينقدح في ذهن كل قارئ أن الله تعالى في العلو وأن النصوص تتوافر على إفادة هذا المعنى، {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} (الأنعام: ١٨) والفوقية بمعنى العلو. وكذلك قوله {يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ وَرَأْيُكَ وَرَأْيُكَ إِلَيَّ} (آل عمران: ٥٥) والرفع لا يكون إلا لأعلى. وقال تعالى: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} (النساء: ١٥٨). كل هذه النصوص تتوافر على إقرار وإثبات أنه ﷺ له صفة العلو. وكذا حديث الجارية المشهور ((قال النبي صلى الله عليه وسلم للجارية: «أين الله؟»). قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «فأعتقها، فإنها مؤمنة»)) والعجب من هؤلاء المحرفين حينما يأتون لهذا النص المحكم يقولون النبي ﷺ رآها جارية أعجمية لا تفقه فعاملها على سذاجتها ونحو ذلك. سبحان الله!! هذا تنقص للنبي ﷺ. النبي ﷺ معلم الأمة. يكفي أن عنده الصحابي ﷺ الذي لطمها. فكيف يسيغ ذلك أن يقرها على كلام باطل لا يستقيم؟ كل هذا من مباحكاتهم وتنحلاتهم الباطلة في رد الحق.